# وصف الحياة البدوية في الشعر العباسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين

المدرس المساعد
عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي

الأستاذ المساعد الدكتور
حافظ كوزي عبد العالي المنصوري

جامعـــــة الكوفـــــة ـ كليـــــة الآداب

**توطئة:**

للحياة البدوية مظاهر متعددة في الوجود، تنكشف عن معان وظفها شعراء الجاهلية ومن جاء بعدهم في ما أبدعوهُ، فالشعر أرخ ما في هذه الحياة من شغف ومرح، وأتساع ووضيق، وخيبة وأمل - وصور حياة الإنسان بأحزانها وأفراحها، ثم نظر إلى ما حوله من الطبيعة؛ فأمدته بوافر من الصور، ومخزون وفير من المعاني الدالة على نبض الحياة المتحقق في أصناف شتى من الموجودات المادية بشقيها الحيواني والنباتي التي تكثر في بيئة الصحراء العربية موطن العرب الأول، وعشقهم الدائم، وفي هذا البحث، سنقف على أوصاف الشعراء العباسيين لمظاهر بدوية متمثلة في صنفين من أصناف الحياة: الحيوانية والنباتية، هما:

## المبحث الأول

## وصف الحيوانات الصحراوية

إن الصحراء هي موطن البداوة، إذا ما ذكرت فأنها دالة على نوع محدد معروف الملامح، بارز العلاقات، واضح الرسوم، في تحديده لنمط من السلوك الاجتماعي الذي تشكل في هذه الأرض الجرداء الواسعة المتميزة بأنواع مختلفة من الحياة الحيوانية والنباتية، ومن مظاهر هذه الحياة التي عاشها الإنسان العربي مجاورته لأصناف محددة من الحيوانات الأليفة وغيرها، التي تركت أثراً واضحاً في نتاجه الفني، فقد شاركته حياته وأدخلت في نفسه معان صور خيالة في بعضها واقعية في الأعم الأغلب، وأخرى من نسج خياله، ومن هذه الحيوانات:

### أولاً: الناقة:

إذ لا تذكر الصحراء والبداوة إلا وكان هذا الصنف من الحيوانات أول ما يتبادر إلى

الذهن، وهو الواضح في صورة الشعر العربي الذي أنتج في بيئة الصحراء العربية، فقد أرتبط هذا الحيوان بعلاقة مميزة مع الإنسان العربي، حتى غدت الناقة الاسم الأبرز في نص القصيدة، فقد أستوعب جزءاً مهما من بنية (النص الشعري العربي، بأوضاعها، وبما قدمته من محتوى فنياً وفكرياً للقصيدة العربية (إذ أن الناقة لم تشغل بشكلها وأوضاعها حيزاً من القصيدة فحسب، وإنما كانت تمثل محتوى فكرياً تتحدد من خلال أوصاف الشعراء لتجد مكانها المحدد وموضعها المناسب[١] في مشاعرهم وصورهم الفنية، فقد حمّلوها كل عواطفهم وأشركوها في مشاعرهم، إذ هي وسيلة الإنسان العربي في صحرائه لقطع تلك الفيافي وهي أنسه في وحدته، لذلك اعتنى الشعراء الجاهليون كثيراً في وصف هذا الصديق الذي وجدوا فيه مفزعاً أليفاً، وصورة مخلصة من صور الصحراء وملاذاً للهموم يشكون أليه، وربما أكثروا في وصفه من حيث قوته، واحتماله لمصاعب الصحراء ومن أشهر شعراء الجاهلية الذين وصفوا الناقة وأجادوا في وصفها الشاعر: طرفة بن العبد، فقد قال في وصفها: (من الطويل)

| | |
|---|---|
| وَإنيّ لأُمضِي الهَمّ عِنْدَ احْتِضارِهِ، | بِهَوجَاءَ مِرقالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي |
| أَمُونٍ كألواحِ الإرَانِ نَسَأْتُها | على لاحِبٍ، كَأَنّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[٢] |

وأن أغلب الشعراء الجاهليين قدموا أوصافاً دقيقة لهذا الحيوان الأليف وأحسنوا في ذلك، ولم تنقطع هذه الأوصاف أو تضمر في النص الشعري العربي على الرغم من التغييرات المكانية والاجتماعية والثقافية التي عاشها الإنسان العربي والشاعر بخاصة، فها نحن في القرن الرابع نجد شعراء كباراً مثل المتنبي قد اعتنوا بوصف الناقة التي حملته في طريقه الوعر، وفي رحلته الطويلة الشاقة في صحراء مترامية الأطراف، إذ يقول: (من الطويل).

| | |
|---|---|
| غَنيٌّ عَنِ الأوْطانِ لا يَستَخِفُّني | إلى بَلَدٍ سَافَرْتُ عنهُ إيَابُ |
| وَعَنْ ذَمَلانِ العِيسِ إنْ سامَحتْ بهِ | وَإلاّ فَفي أكْوَارِهِنّ عُقَابُ |
| وَأصْدَى فلا أُبْدي إلى الماءِ حاجَةً | وَللشّمسِ فوقَ اليَعمَلاتِ لُعابُ[٣] |

ومرة أخرى يرى المتنبي ناقته وهي ملتفة بأحزمة، وذات بطن عظيمة في دلالة على قوتها وعظم جسمها، وهذه من الأوصاف التي يرغب فيها للإبل، فيقول في ذلك: (من الكامل).

شِـــيَمُ اللّيـــالي أنْ تُشـــكِّكَ نـــاقَتي ... صَـــدْري بهـــا أفضَـــى أمِ البَيـــداءُ
فَتَبيـــتُ تُسْـــئِدُ مُسْـــئِداً في ئَيّهـــا ... إسْـــآدَها في المَهْمَـــهِ الإنْضـــاءُ
أنُســـاعُها ممغوطـــةٌ وخَفافِهُـــا ... مَنكُوحَـــةٌ، وطَريقُهـــا عَـــذْراءُ[٤]

والمتنبي قد كنى عن عظم جسم ناقته بالأنساع الممغوطة، أي طويلة، وخفافها منكوحة أي مثقوبة من شدة تأثير المسير في الصحراء وهي كناية عن وعورة الطريق الذي سلكه الشاعر.

ولقد نظر شاعر أخر هو الصنوبري إلى ضخامة حجم الناقة وقوتها فما وجد لها تشبيها إلا القناطر في علوها، فقال: (من الكامل)

عـــبروا بحـــارَ البيـــدِ فـــوقَ قنـــاطرٍ ... مطويـــةٍ مـــنْ مرمـــرٍ وبـــلاطِ
تـــدني الى الشـــوطِ البعيـــدِ مناسمـــاً ... يـــدنينَ كـــلَ بعيـــدةِ الأشـــواطِ
بتواصـــلِ الـــدأيات والأثبـــاج، بـــل ... بتـــهاجرِ الأعضـــاءِ والأبـــاطِ
متطـــايراتٍ مثـــلَ مـــا طـــار السّـــرى ... مـــن بـــين ســـرغٍ محصـــدٍ وخمـــاطِ[٥]

وهذا الوصف لم يقصر على إظهار شكل الناقة وقوتها، بل تعدى ذلك إلى وصف حركتها بتفاصيل العارف بسمات هذا الحيوان، والمراقب له، وهذه الأوصاف كثيراً ما اعتنى بها الشاعر الجاهلي من قبل، وحين يهز الشوق قلب شاعر أخر هو أبو فراس الحمداني، فأنه لا يجد طريقاً يوصله إلى أحبائه إلا من خلال مرافقة الإبل، ذات الخطوات القصيرة الهزيلة من شدة المسير، وقد كنى عن ذلك بقوله ((تجول نسوعها)) أي أن السير الذي تسد به بطن الناقة غير ملاصق لجسمها، إذ يقول: (من الوافر)

و مـــنْ جـــراكِ، أوطنـــتُ الفيـــافي ... وَفِيـــكِ غُـــذِيتُ أَلْبَـــانَ اللِّقَـــاحِ
رَمَتْـــكِ مِـــنَ الشّـــآمِ بِنَـــا مطَايـــا ... قِصَـــارُ الخَطْـــوِ، دَامِيَـــةُ الصِّـــفَاحِ
تجـــولُ نســـوعها، وتبيـــتُ تســـري ... إلى غـــرّاءَ، جَائِلَـــةِ الوِشَـــاحِ[٦]

وقد توصف النوق بالقناطر وإظهار هزالها ظل وصفا يتعاوره الشعراء في ما بينهم، وان اختلفت أساليبهم في إظهاره، وتحقيقه في النص الشعري تبعاً لقدرة الشاعر الفنية، فهذا الشاعر الوأواء الدمشقي، يحتذي أوصاف من سبقوه من الشعراء، لكنه يختار وصفاً جميلاً لنحول تلك النياق، فهي كالأهلة، وهي أيضاً تشابه قوس الحواجب، ولعل هذا الوصف

من تأثير الحياة التي تغيرت، فقد تركت الحضارة شيئاً من تأثيراتها على أوصاف الشعراء الذين جاروا أوصاف الشعراء الذين سبقوهم وحذوا حذوهم في وصف الناقة، وإظهار خصائصها الشكلية والظروف التي تعانيها، وفي ذلك يقول: (من الطويل)

تكادُ تَظُنُّ العِيسُ أَنْ لَيْسَ فوقها ... إذا سكتوا إلاَّ صدور الحَقَائِبِ
على ناحلاتٍ كالأهلةِ إنْ بدتْ ... أتمَّ انقواساً من قسيِّ الحواجبِ
طَواهُنَّ طيُّ السَّيْرِ حتَّى كأَنَّها ... قناطرُ تسعى مخطفاتِ الجوانبِ[٧]

**والإبل** عند الشريف الرضي سريعة خفيفة، وقادرة على تحمل هجير الصحراء وعناء العطش، فهي غائرة العيون من شدة العطش، لكنها سريعة الجري، وقد تندي مناسمها دماً، فيما صارت خفافها مشافرا من شدة الرمضاء، وفي ذلك يقول: (من الكامل).

وَغداً أُمَشّي العِيسَ بَينَ حَطِيطَةٍ ... ووديقةٍ لم يغن فيها ماطرُ
تندى مناسمها دمى وشفاهها ... تندى لغاماً والخفاف مشافرُ
خوص كان عيونها في هامها ... قلبٌ بعدن عن الورود غوائرُ
وإذا عبرن بماء واد جزنه ... عجلاً يخدن كانهن صوادرُ[٨]

فالناقة جزء من حياة الصحراء، وعلامة من علامات الوجود اليدوي، وهي تمثل دالة ثقافية مميزة في الشعر العربي إذ تتحول الناقة عند الشاعر العربي إلى أداة ثقافية فاعلة في النص الشعري من أجل أحداث تغيير حقيقي في الحياة وعند ذلك يتحدى الشاعر بفضلها ظروف الصحراء ومشاقها[٩] وإزاء هذا الجهد الذي تقدمه الإبل للشاعر في اجتيازه البيد، واختراقها مجاهيل الصحراء، فأنه يرى لها واجباً عليه، وهذا المعنى أيضاً لم يكن بالجديد، فقد سبقه إليه الشعراء، لأنهم رأوا أن هذه الحيوانات الأليفة، صارت بمنزلة الصديق الوفي الذي يستحق الجزاء، وفي ذلك يقول الشريف الرضي: (من الكامل).

البيد يا أَيْدي المطي فانني ... للضّيْمِ، إنْ أسْرَى إليّ، مُجَانِبُ
ومجاهل الفلوات اطيب منزل ... عندي، وَأَوْفَى الوَاعدينَ نَجَائِبُ
وَإذا بَلَغْنَ بيَ الحُسَيْنَ، فإنّهُ ... حقٌ لهنَّ على المطايا واجبُ[١٠]

وللصحراء المترامية الأطراف منفذ واحد يمر من خلال هذه النوق، فهي القادرة على سبر غور الفلوات، وعلى اختراق مجاهيلها وإن كانت قاحلة، يلفح هجيرها القوم، فهي قوية كأطراف الرماح، عارفة طريقها مسددة إلى ثغر الهواجر، وهذا الوصف مستمد من

أداة الضرب المعروفة عندهم وهي الرماح، وفي ذلك يقول ابن نباته السعدي (ت٤٠٥هـ): من الوافر).

فـــــلا يُـــــــدنيكَ إلا مـــــــذنباتٌ     أنفـــــنَ مـــــن التـــــأوهِ والضـــــجاجِ
ملكـــــنَ علـــــى المفـــــاوزِ كـــــلَ تيـــــهٍ     خَفـــــيُ الســـــمتِ مُنخَـــــرقِ الفجـــــاجِ
كـــــأطرافِ الرمـــــاحِ مســـــدداتٍ     الى ثغـــــرِ الهـــــواجرِ والـــــدياجي[11]

ولم يكتـف الشـعراء العباسـيون بوصـف شـكل الناقـة، أو قوتهـا، ولكـنهم نظـروا الى المعاني الأُخر التي قد تشاركهم فيها، وربما تفوقت عليهم، فالحنين سمة من سمات الإبـل، بها يضرب المثل، فقد ذكر ابـن رشـيق القيرواني(٤٥٦هـ) حديثاً نسبه للرسول الأكـرم ﷺ ما نصه ((لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين))[12] وهـذا يؤكـد صفة تـلازم الإبـل وهي منفردة من سواها من الحيوانات، لـذلك صـارت مضرباً للمثـل، والى ذلـك أشـار أبـو الحسن التهامي (ت٤١٦هـ) بقوله:

بكيـــــتُ فحنـــــتْ نـــــاقتي فأجابهـــــا     صـــهيلُ جـــوادي حـــينَ لاحـــتْ ديارُهـــا[13]

وفي نص شعري آخر يؤكد التهامي حالة الحنين هذه فيقول: (من الطويل)

هـــــل الوجـــــد الا أن تلـــــوح خيامهـــــا     فيقضـــــى بإهـــــداء الســـــلام ذمامهـــــا
وقفـــــت بهـــــا أبكـــــي وتـــــرزم نـــــاقتي     وتصـــــهل أفراســـــي ويـــــدعو حمامهـــــا[14]

ولقد وصف الشاعر الشريف الرضي هذا الحنين حين شبه ما يعانيه من شـوق ولهفـة بحنين النوق، فقال: (من الطويل)

حننـــــت الـــــيكم حنـــــة النيـــــب اصـــــبحت     تلـــــوب علـــــى المـــــاء الـــــروّى وتُـــــذادُ
تَـــــوَانٍ بِأعْنَـــــاقِ الغَلِيـــــلِ، وَقَـــــد حـــــوَى     مشـــــارعهُ عـــــذبُ الجمـــــامِ يُـــــرادُ[15]

وما هذه الأوصاف إلا شذرات من مهيل زاخر وصف بـه الشـعراء العباسـيون هـذا الحيـوان الأليـف الـذي أحبـوه فشـاركهم مشـاعرهم، واعتنـوا بـه فوصـفوه، فأحسـنوا الوصـف.

## ثانياً – الخيل:

لقـد اسـتمد الشـاعر العربـي معانيـه الشـعرية مـن واقـع فـرض عليـه محـددات تلـك المعاني، كما أوجب عليه أنواعاً من الصـور التي عرضتها أمامه الطبيعة التي آلفها، فهـي

عندما قدمت له أنواعاً من الحيوانات التي جاورته في بيئته، فإنه وصفها وأحسن في ذلك، ولعل أوصافه للإبل خير شاهد على هذا التأثر، وهو أيضاً يكشف تعلقه بواقعه البيئي وانسجامه معه، حتى أنه استمد أكثر صورهِ من واقع حسي عايشه، فكانت لا تخرج هذه الصور عن المباشرة إلا في القليل منها، ولم يبتعد الشاعر الجاهلي عن مؤثرات حواسه، ولم ينتقل بخياله إلى أبعد من الواقع إلا في النادر القليل، وإن هذا الواقع فيه أنواع مختلفة من الحيوانات، وكان من أشهرها وأقربها إلى نفس العربي الخيول التي رافقته في حربه وسلمه فقد كان ((رفيق سفرٍ وشريكاً في الكفاح ضد مؤثرات الطبيعة وعواملها، وقد آنس خلال عشرته الطويلة بطباعه كما خبر مميزاته، فجعل يصف الحيوانات ويذكرها في شعرهِ بالدقة العلمية الخارجية التي عرف بها))[١٦] وهذا الوصف يؤخر به الشعر العربي في عصوره المختلفة، ومن خلال وصف امرئ القيس لفرسه، فقد أنتزع أوصاف الفرس من أوصاف الطبيعة الصحراوية حيث الرمال المتراكمة، إذ يقول: (من الطويل)

لـــه كفـــلٌ كالـــدّعص لبـــدهُ الثـــدى ... إلى حـــــارِكٍ مِثْـــلِ الغَبـــيطِ المُـــذَأّبِ
وَعَـــينٌ كمِـــرْآةِ الصَّـــنَاعِ ثُـــدِيرُها ... لَمَحْجِرهَـــا مِـــنَ النّصـــيفِ المُنَقَّـــبِ[١٧]

وأن الشعراء الذين جاءوا بعد هذا العصر، لم يستغنوا عن وصف الخيول فهي الأليفة الملازمة لهم، فقد تأملوا هذه الخيول، حتى غدوا خبراء في تفاصيل حياتها وأصبحوا ملمين بتفاصيل مفاتنها، وكانوا بعد ذلك وصافين مهرة ماهرا لهذه الخيول[١٨] وسيكشف البحث أن شعراء العصر العباسي قد أجادوا في وصف الخيل شكلاً وحركة وحياة، كما استنبطوا منها معانً أخر، استثمروها في الدلالة على لواعج النفس ومكامن الانفعال، وقدموا في ذلك نماذج جميلة، وليس أدل على ذلك من قول المتنبي الذي اعتنى كثيراً بوصف الخيل، لما لها من سمات القوة والشجاعة التي أراد أن يراها في قومه ارضاء لنزوع نفس ورغبة في تحقيق حلم راوده كثيراً في عودة مجد الأمة الغابر، ولذلك أجاد في وصف الخيل بدقة عندما قال: (من الطويل)

وَعَـــيْني إلى أُذْنَـــيْ أغَـــرَّ كَأنَّـــهُ ... مِـــنَ اللّيْـــلِ بـــاقٍ بَـــينَ عَيْنَيْـــهِ كوْكَـــبُ
لَـــهُ فَضْـــلَةٌ عَـــنْ جِسْـــمِهِ في إهَابِـــهِ ... تَجـــيءُ علـــى صَـــدْرٍ رَحيـــبٍ وَتَـــذهَبُ
شَـــقَقْتُ بـــهِ الظّلْمـــاءَ أُدْني عِنَانَـــهُ ... فيَطْغَـــى وَأُرْخيـــهِ مـــراراً فيَلْعَـــبُ
وَأصـــرَعُ أيّ الـــوَحشِ قفّيْتُـــهُ بِـــهِ ... وَأنْـــزِلُ عنْـــهُ مِثْلَـــهُ حـــينَ أرْكَـــبُ
وَمـــا الخَيـــلُ إلاّ كالصّـــديقِ قَليلَـــةٌ ... وَإنْ كَثُـــرَتْ في عَـــينِ مَـــن لا يجـــرّبُ[١٩]

ومن الأوصاف الأخرى للخيول أن يقال لها ((جرد)) وهي الخيول القصيرة الشعر، وفي ذلك يقول أبو فراس الحمداني: (من الطويل)

وجـــردٍ كأمثـــالِ الســـعالى ســـلاهبٍ ... وخـــوصٍ كأمثـــالِ القســـي نجائـــبُ[٢٠]

وهي وأن كانت ذات شعر قصير إلا أنها تشبه السعلاة وهي أنثى الغول المخلوق الوهمي الذي يعرفه (العرب) في موروثة وثقافتهم، والذي يرمز الى القوة والرهبة والى ذلك المعنى قصد الشاعر، وفيما شبه شاعر آخر الخيول (الجرد) بأعناق الظباء الجميلة، الطويلة حيث قال الشاعر كشاجم: (من الطويل)

وجـــردٍ كأعنـــاقِ الظبـــاءِ صـــوارمٌ ... تبـــادرُ في مضـــمارِها القصـــباتُ[٢١]

وأن ألوان الخيول مختلفة متباينة، وقد تنبه الشعراء لهذا الاختلاف، وأتضح ذلك في أوصافهم، فأحبوا ألواناً منها، وعدوها رموزاً للقوة والإقدام، ومن هذه الخيول الدهم، وفي ذلك يقول الشريف الرضي واصفاً مسير هذه الخيل وتجاوزها لصعوبات البيئة المتمثلة بهجيرها اللاهب الذي اكتوت به، فيقول: (من الطويل)

ســـروا وخيـــول الليـــل دهـــم وعرســـوا ... وَقـــد غادَرُوهـــا في طِـــرَادِ الضّـــحى شُـــهبَا
يضـــوع هجـــير الســـير بـــين رحـــالهم ... إذا مَـــا نَسِـــيمُ اللّيـــلِ في ثَوْبـــهِ هَبّـــا[٢٢]

والخيل عند الشريف الرضي مرغوبة إذا ما كانت مهزولة، لأن هزالها دلالة توحي بالقوة والتحمل، وفيها إيحاء على عزيمة راكبيها، فهي عندهُ لشدة هزالها تشبه القنا، وهذا الوصف هو صورة بدوية صحراوية لشاعر يعيش في بغداد في القرن الرابع للهجرة، لكنه يجيد وصف الخيل فيقول: (من الطويل)

وخيـــلٍ كأمثـــالِ القنـــا تحمـــلُ القنـــا ... علـــى كـــلِ عنـــقٍ عاقـــدٌ ســـبيبهِ[٢٣]

ويقرن الشاعر الخيل بالصحراء في دلالة العز والمجد الذي يبحث عنه، وكأنه يجد عند

البيد ما افتقده في مدينته، والى ذلك يشير بقوله: من البسيط)

إلى كَـمِ الطَّـرْفُ بالبَيْـداءِ مَعقُـودُ وكـم تشـكى سـراي الضـمر القـود[٢٤]

وهذا النص يكشف بجلاء تعلق الشاعر بالبيداء او البداوة ومعانيها، وقيمها فهي دار العز التي يحلم بها، وهي عودة بالذاكرة الى مجد غابرٍ وحلم يطمع أن يراه حقيقة واقعة، فلم يستطع الشاعر أن يخرج من أسر المكان البدوي ومن تأثير مفرداته من حيوانات مختلفة، ظلت عالقة في ذهنه، تصنع صورهُ الشعرية وتصوغ معانيه البدوية، وقد ظلت أوصاف الخيل في الشعر العربي في هذا العصر عند بعض الشعراء تدور في تلك الأوصاف البدوية، وتستقي منها معانيها، فإذا كان الكرم سمة العربي في صحرائه، فمن الأجدر أن يصف خيله بالكرامة في النسب وفي الفعل، والى ذلك يشير قول الشاعر أبي فراس الحمداني واصفاً جوادهُ بالشجاعة والإقدام، فهو حفيف لا يرهب الحرب، وهو مزهو بفعلهِ، إذ يقول فيه: (من الكامل)

ومُهـــري لا يمـــسُّ الأرضَ زهـــواً كـــأنَّ تُرابهـــا قطـــبُ النَّبـــالِ
كـــأنَّ الخيـــلَ تعـــرفُ مَـــنْ عَلَيْهـــا ففـــي بعـــضٍ علـــى بعـــضٍ تَعَـــالِ[٢٥]

ومن الشعراء العباسيين الذين وصفوا الخيل واهتموا بها، الشاعر الابيوردي فهو يقدم وصفاً متأنياً لحركة فرسه، مستمداً أوصافه من البيئة الصحراوية بما قدمته لهُ من صور حياتيه، تمثل مناخاً بدوياً، يعود مره أخرى ليحضر في واقع اجتماعي آخر، مستغلاً نزوعاً ثقافياً نحو ماضٍ تليد، يستهوي متلقين، ويسعد مبدعين، وهذا ما يكشفه قوله: (من الرجز).

تَحبـــو الرِّيـــاحُ الهُـــوجُ فِي أَشْـــواطِهِ وَالبَـــرْقُ يَكْبـــو خَلْفَـــهُ إذا عَـــدا
كَالنَّـــارِ إنْ حَرَّكتَـــهُ فِي حُضْـــرِهِ وَإنْ تُسَـــكِّنْهُ فَكالمـــاءِ جَـــرى
تَنْتَهِـــبُ الأَرْضَ بِكُـــلِّ حـــافِزٍ كَالقَعْـبِ، وَهْـوَ كالصَّـفا علـى الصَّـفا
وَهُـــنَّ شُـــعْثٌ كَالسَّـــعالي عُـــوِّدَتْ حُسْـنَ المِشَـى بـينَ العـوالي فِي الـوَغَى[٢٦]

ومن خلال هذا النص يبدو التأثير الواضح بصور الشعراء العرب في جاهليتهم وتظهر أيضاً ثقافة ذلك العصر السحيق بكل رموزها في أوصاف الشاعر، وفي اختيار ألفاظه، وهذه الصور التي اقتطفناها من الشعر العباسي، تؤكد ذلك الاتجاه الذي نظر إلى الماضي فوجده

يستحق الاقتداء والمسايرة، وأن اختلقت الحياة، لكن ذلك لم يمنع هؤلاء الشعراء من العودة إلى الأوصاف اليدوية للخيل ولغيرها من الحيوانات التي زخرت بها البادية، والتي رافقت الإنسان العربي في سرائه وضرائه، حملتهُ في حربه وسلمهُ، فأتلفت معه فأحبها، وأجاد في وصفها، وأشركها في انفعالاته أحياناً كثيرة.

**ثالثاً: الظباء:**

لقد ضمت الصحراء العربية أنواعاً مختلفة من الحيوانات التي تعرف عليها الإنسان العربي في بيئتهِ وتعلم من طباعها فأعجب ببعض منها بعد أن أستحسن شكلها وقوامها، ومن هذه الحيوان التي ظلت تحظى بحضور واسع في الشعر العربي الجاهلي، وما جاء بعده حيوان الظبية أو الغزالة وغيرها من السمات التي تعطى مدلولاً واحداً على حيوان ذي صفات جمالية فارقة، تغنى بها الشعراء وألصقوها بمن أحبوا، فإذا ما كان جيد الظبية جميل، فهو أليق كما يرون بجيد نسائهم، وإن هي كانت عطوفة حنونة، فأن هذا العطف قد منحوه إلى من أحبوا، وبذلك افرغوا صفات هذا الكائن على صفات الإنسان وخصوصاً المرأة في صحرائهم القاحلة، ونجد ذلك جلياً في تشبيهاتهم للنساء، ومن ذلك قول المتنبي: (من البسيط)

مَــرّتْ بنــا بَــينَ تِرْبَيْهـا فقُلــتُ لَهــا ... مـن أيـنَ جـانَسَ هـذا الشّـادِنُ العَرَبـا[٢٧]

فأنه يرى هذا التشابه بين الظبية (الشادن) التي ترعرعت وتمت بين أترابها العربيات، وهذا الاستفهام الإنكاري، جاء ليؤكد به صفة الجمال المشتركة بين الاثنين، ومرة أخرى يحب المتنبي أن يلثم غزالة أدمية حين يقول: (من الكامل)

يـــا حَبّـــذا المُتَحَمّلُـــونَ وحَبّـــذا ... وَادٍ لَثَمْـــتُ بـــهِ الغَزالَـــةَ كاعِبَـــا[٢٨]

فلقد منح المتنبي المرأة صفات الغزالة بأكملها بما فيها من حسن جمال ورقهِ وحنو ورشاقة وهذا الوصف النقلي، فرضته ظروف البيئة البدوية التي تقمصلها المتنبي، فعاشها في خيال دائم معها، متناسياً ما حوله من أوصاف فإذا به يسترجع ما وصف العرب السابقون النساء به، فأكثر في ذلك حين جعل روحه ملك يد هذا الشادن، فقال: (من البسيط)

وَشَـــادِنٍ رُوحُ مَـــنْ يَهـــواهُ فِي يَـــدِهِ ... سَـيْفُ الصُّـدودِ علَـى أعْلَـى مُقَلَّـدِهِ[٢٩]

وهذا الحسن الذي يمتلكه، قد اجتمع معه سيف الصدر القاتل المتقلد به.

وقد تكون هذه الظباء الجميلة سبباً في حب الشاعر وتلهفه الى قوم عدي، إذ يقول: (من البسيط).

لَـوْلا ظِبـاءُ عَـدِيّ مـا شُـغِفْتُ بهـمْ ... وَلا برَبْـرَبِهِمْ لَـوْلا جَـآذِرُهُ
مـن كـلّ أحـوَرَ في أثْيابِـهِ شَـنَبٌ ... خَمْـرٌ يُخَامِرُهـا مِسـكٌ تُخـامِرُهُ[٣٠]

وأن الظباء الإنسية هذه عند شاعر آخر، قد حظيت بحماية قوية من رجال أشداء، فهم أسود غابٍ، منعوا عن هذه الظباء الجميلة مخاطر وأهوالاً، وفي ذلك يقول الشاعر السرّي الرفّاء: (من الكامل)

إنَّ الظِّبـاءَ حَمَـتْ مراتِعَهـا الظُّبـا ... ورَعَـتْ سـوائمها أُسـودَ الغـابِ
مـن كـلِّ سـكرَى اللَّحـظِ أثمـرَ غصـنُها ... نـوعين مـن وردٍ ومـن عُنَّـابِ[٣١]

وتستهويه امرأة بقوام فاتن، فلا يجد إلا الظبية شبيهاً لها في قوامها، وفي لحظات عيونها الوجلة، فيقول في ذلك: (من البسيط)

يُريـكَ قوامَهـا الغصـنُ الرطيـبُ ... ولحـظَ جفونِهـا الرشـأُ الربيـبُ[٣٢]

وهذه الأوصاف المستمدة من البيئة الصحراوية التي جادت على شعراء بهذا الحيوان الجميل الذي وجدوا فيه كل سمات الرشاقة والرقة والحنو، فأحبوا أن يفرقوا سماته على المرأة في بلادهم، وأن هذا المنحنى الذي يسلكهُ شعراء القرن الرابع هو تقليد القوة من شعراء سبقوهم أليه، وجدوا فيه ضالتهم، وربما وجدوا له متلقين متلهفين لهذه الأوصاف البدوية التي غيبتها مظاهر الحضارة في مجتمعهم ذي الثقافات المتعددة والوجوه والأمزجة المتناقضة، والمختلفة أيضاً، لذلك مدوا أعناقهم إلى التاريخ وإلى سالف من أوصاف العرب فوجدوها أوصافاً جميلة.

ومن الصفات الجميلة التي انفردت بها الظباء ذلك النفور الذي استهوى الشعراء فشبهوا به النساء في صدهن ونفورهن دلالة على التمنع الذي يستعذبه ذوق العربي، ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني: (من الطويل)

و ظـبيٍ غريـرٍ، في فـؤادي كناسـهُ، إذا اكْتَـنَسَ العِـينُ الفَـلاةَ وَحُورُهَـا
تُقِـرّ لَـهُ بِـيضُ الظّبَـاءِ وَأُدْمُهَـا و يحكيـهِ، في بعـضِ الأمـورِ، غريرهـا
فَمِـنْ خَلْقِـهِ لَبّاتُهَـا وَنُحُورُهَـا، وَمِـنْ خُلْقِـهِ عِصْـيَانُهَا وَنُفُورُهَـا[٣٣]

ويستعيض الشعراء العباسيون عن ذكر المرأة بذكر الظبية، أي كان تواجدها في فلاتهم، في الأحداج والأظعان، أم في خيامهم ومسكنهم، فهي ذلك الغزال الرشيق الجميل، وان سترتهُ الحجب، وفي ذلك يقول ابن نباته السعدي: (من الرمل)

ظبيـةٌ غنـاءُ فيهـا ولـهُ وقـعَ الحبـلَ عليهـا فنصـلْ
طلعـتْ مـن جانـبِ الخـدرِ لنـا في بـدورٍ كَشـفتهنَ الكلـلْ[٣٤]

غير أنه في نص آخر يستعير من الظبية سمة من سماتها المعشوقة؛ إنها سرعة التفاتها الذي يدل على نفورها وخوفها، وفي ذلك يقول: (من الكامل)

وكواعـبٍ نظـرتْ بأحـداقِ ألمهـا وتلفتـت بسـوالفِ الآرامِ[٣٥]

وهذا الوصف الذي وجدناهُ في الشعر العباسي، جاء تأكيداً لوصف أسرف الشعراء الجاهليون فيه وأكثروا، وفقد ظل ممتداً إلى الأجيال، عندما أستلهم الشعراء العباسيون صور النسيب البدوية من ((خلال تشبيه المرآة بها، فرأوا في عينيها جمال عيني من يحبون، وفي جيدها إشراق النحر و وضاءته، وألتفت هذه الصور البدوية بغلالة الحنان والرعاية والحنو والبراءة، وكلها معانٍ، أوحت بها الصورة البدوية للظبية))[٣٦] التي كثر تواجدها في شعر الشريف الرضي، إذ يشير بقوله إلى نظرات الظبية والتفاتها: (من الطويل)

عَشِـيّةَ جَـارَاني بِعَيْنَيْـهِ شَـادِنٌ حـديث النـوى حـتي رمـى بي المراميـا
رمـى مقتلـي مـن بـين سـجفي عبيطـة فيـا راميـا لا مسّـك السـوء راميـا[٣٧]

وتظل ألحاظ الظباء تشهد على أثرها الفاعل في نفس الشاعر، فيصورها وهي مجتمعة في موضع يحددهُ، فيقول: (من البسيط)

إنّ الرّبائِـبَ مِـنْ غِـزْلان أسـنمَة أعلقـن ذا الشـيب أعلاقـاً مـن الغـزل
مِـنْ كُـلّ رِيمٍ هَـوَى ألحَـاظُ مُقْلَتِـه يُمسِـينَ للعُـذْرِ أنصَـاراً عَلـى العَـذَلِ[٣٨]

وفي ديوان الشريف الرضي شواهد كثيرة تشير إلى هذا الوصف المستمد من البيئة الصحراوية، إذ دائماً ما يقرنهُ بدلالة مكانية، لا مفر من أن تؤكد عمق صلتهِ بالموروث

الشعري العربي، وحنينه إلى أرض أجدادهِ، وشوقهِ إلى مجد أمتهِ الغابر[٣٩].

ويرى شاعر آخر أن صفات الظبية التي يتغنى بها لا تشبه صفات حبيبته، فهناك فروق جمالية ميزتها عن الظبية فكانت أفضل منها، ويؤكد ذلك خطابه لرفيقه، وهذا الشاعر هو صردر(ت٤٦٥هـ) الذي يقول: (من الوافر)

يقـــولُ خليلـــي والظبـــاءُ ســـوانحٌ ... أهـــذي الـــتي تهـــوى؟ فقلـــتُ نظيرهـــا
لـــئنْ أشـــبهتْ أجيادُهـــا وعيونُهـــا ... فقـــد خالفـــتْ أعجازُهـــا وصـــدورها[٤٠]

وتشير هذه الشواهد إلى عمق الصلة بين الشعراء العباسيين الذين اتخذوا هذا الاتجاه مسلكا لهم، مع شعراء العصور التي سبقتهم، فقد احتذوا حذوهم على بعد المسافة، وتغيير الأحوال، وما ذلك إلا هوىً في النفس العربية وشوقاً إلى البيئة الأم التي أنجبت الشعر الجميل والقيم الأصلية.

## المبحث الثاني

## وصف نباتات البيئة البدوية

إن السمة الغالبة على البيئة الصحراوية هي ندرة النباتات المثمرة، إلا في أماكن الوديان وعند مساقط المياه، وأكثر ما ميز هذه البيئة هي النباتات العشبية التي تنمو في أوقات سقوط المطر وبعده، وهي نباتات المرعى، وإن اختلفت وتنوعت، إلا أن أغلبها موسمي، وهذه النباتات الصحراوية لم يغفلها الشاعر الجاهلي، فقد تعايش معها، فهي مرعى لحيواناته، ومنظراً جميلاً لعينيه ورائحة زكية يشمها في صحرائه القاحلة، ولقد اعتنى الشعراء الجاهليون كثيراً بوصف النباتات الصحراوية المزهرة، كالعرار والشيح والقيصوم، وتغنوا بالبان والخزامي والأقحوان الذي ((كان يوحي إلى الشعراء الجاهليين ما يوحيه الورد الأبيض من معاني النقاء، والصفاء، والنزوع إلى الفطرة، وكذلك أحب العرب رائحة نبات الريحان فصاروا يسمون كل زهر طيبٍ باسمه، فشاعت اللفظة في الشعر الجاهلي))[٤١] ومن شواهد هذا التعلق والحب لهذه النبتة، ما يقوله الشاعر الشنفري: (من الطويل)

فبتنـــا كـــأنَّ البيـــتَ حجـــرٌ حولَنـــا ... بريحانـــةٍ ريحـــتْ عشـــاءً وطلـــتِ
بريحانـــةٍ مـــن بطـــنِ حليـــةَ نـــورَت ... لهـــا أرَجٌ مـــا حولَهـــا غـــيرُ مســـنتِ[٤٢]

ومن ينظر في دواوين الشعر العربي في العصر الجاهلي يجد شواهد كثيرة على وصف النباتات البرية والتغني برائحتها، ومن أشهر هذه النباتات

**أولاً: الأراك:**

يقول صاحب لسان العرب عنه: ((وهو شجر معروف، وهو شجر السواك، يستاك بفروعه، وهو أفضل ما إستيك بفرعه من الشجر، وأطيب ما رعته الماشية، وهو شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان، خوارة العود، تنبت بالغور، تتخذ منها المساوك))[٤٣].

ورائحة هذا الصنف من النبات طيبة، وقد إختص به وادي سمي بوادي الأراك الذي تغزل فيه الشعراء الجاهليون وسايرهم المتنبي، فهو يرى حنينهُ ووجده على من يحب أعظم من وجد الحمام، فلو كان مثله، لانبرى شجر الأراك باكياً عليه، وهذه الصفة الإنسانية لا يمنحها الشاعر إلى شيء إلا ويشعر بأنه قريب من نفسه؛ لأن منح الصفات الإنسانية للأشياء المادية، أي تشخيصها لا يتم إلا عبر الانفعال المانح للمادة صفات الإنسان، وفي ذلك يقول المتنبي: (من الكامل)

يجدُ الحَمامُ ولوْ كوَجدي لانْبَرَى ... شَجَرُ الأراكِ مَعَ الحَمامِ يَنُوحُ[٤٤]

والى وادي الأراك يشتاق شاعر آخر وهو أبن نباته السعدي، إذ يشم فيه رائحة زكية بعد أن أصابه المطر، فهو يتمنى أن يقضي ليلهُ في ذلك الوادي العتيد، متأسياً بمن سبقهُ من شعراء الجاهلية، وحاذيا حذوهم،إذ يقول: (من الطويل)

أيا حبذا ليل الكثيب وفائحٌ ... من الروضِ مهجور الفناءِ خصيبُ
متى نشرَ الوسميُ بردةَ منعجٍ ... وهل زالَ من وادي الأراكِ قضيبُ[٤٥]

ويتشوق شاعر آخر إلى شجر الأراك مخاطباً إياه، طالباً إجابة منه؛ لما يعانيه من الوجد، داعياً له بالسقيّا، وهو الدعاء العربي الجاهلي لكل محبوب وكل أرضٍ يعشقونها، وفي ذلك يقول الشريف الرضي: (من الخفيف)

يا أراك الحمى تراني أراكا ... أي قلب جنى عليه جناكا
أعطش الله كل فرع بنعما ... ن من الماطر الروى وسقاكا
أيُّ نُورٍ لِنَاظِرَيَّ، إذا مَا ... مَرّ يَوْمٌ، وَنَاظِري لا يَرَاكَا[٤٦]

فأي علاقة حب وشوق تجمع الشاعر بهذا الوادي وشجره المورق ذي الرائحة الزكية؟

وإذا كان الشريف الرضي محباً لوادي الأراك وشجره داعياً له، ولمن أحياهُ بالخير، فإن الشريف المرتضى يقف عند هذا الوادي باكياً مستذكراً أياماً جميلة، معيداً ذكريات الصبابة والوجد، نادباً أيامه الخوالي، إذ يقول في ذلك الشجر: (من الوافر)

| | |
|---|---|
| على شجر الأراكِ بكيتُ لما | مررتُ بهِ فجاورتُ السحابا |
| وكم نادمتُ فيهِ منْ حبيبٍ | عهدتُ بهِ فلمْ أسمعْ جوابا |
| فواهاً للأراكِ مقيلَ صبٍ | فقدتْ بهِ الأحبةَ والشبابا[٤٧] |

وهذا العشق لشجر الأراك، فهو عطش للطبيعة الصحراوية، وأجوائها ونباتاتها وقيمها المغروسة في نفس الشاعر، المتأصلة فيه، وله الحق في ذلك، إذ كيف لا يعشق الأرض التي أنبتت أجداده وأمدتهُ بمجد تليد، فظل الشاعر يحن إليها، وإن بعد المكان الذي لا يمنع العشق، ولا الانتماء إلى الأرض من الحضور في النص الشعري وقبلهُ في النفس العاشقة للموروث أرضاً وقيماً، وعادات وأجواء، وفي ذلك يقول الشريف المرتضى: (من الكامل)

| | |
|---|---|
| يا وحشَ وَجْرَةَ هل أراكَ على ثرى | غضِّ النباتِ تحومُهُ وتجولُهُ |
| وهل الأراكُ - وإنْ تقادمَ عهدُه - | بالرّامساتِ عن الكثيب ذيولَه؟ |
| وهل الكثيبُ بحالِهِ أم رُفِّعتْ | عُرضَ الحجازِ لمن بغاك وطُولُه[٤٨] |

وهذا النص يكشف بجلاء تعلق الشاعر وحبه للبادية، بكل تفاصيل حياتها على الرغم من بعدهِ عنها، وهذه دلالة تؤكد الاتجاه البدوي الذي سار عليه هذا الشاعر ومن سبقه من الشعراء العباسيين الذين استشهدنا لهم ببعض من شعرهم، الذي يعد تقليداً لمنهج بدوي في الوصف وفي إيضاح المشاعر الأصيلة إزاء قيم البداوة المادية والمعنوية.

والى هذه المعاني والدلالات يتجه الشاعر الأبيوردي متغزلاً بوادي الأراك، متمنياً زيارتهُ، وإن كانت هذه لتتم في خيال الشاعر فأنها لتدل على عمق تأثير الموروث الشعري في عصورهِ السالفة في ثقافة الشعراء، وهم في العصر العباسي، وهذا شاعر يعيش في نهاية القرن الخامس الهجري سلك ذلك المسلك الذي اعتمده الشعراء الجاهليون، فتغنى بوادي الأراك على عادتهم، وكأنه يعيش ظروف ذلك الواقع الصحراوي، إذ يقول الأبيوردي: (من الطويل)

نَظَـرتُ خِـلالَ الرَّكْـبِ والمُـزْنُ هَطَّـالُ ... إلى الجـزعِ هَـل تـروَى بِواديـهِ أَطـلالُ
وأَخفيـتُ مـا بي مـن هـوىً، وَمَطِيُّنـا ... يلـبِّسُ أُخـراهُ بـأولاهُ إعجـالُ
وَقُلـتُ لَهُـمْ: جُـرْثُمْ، فَمِيلُـوا إلى اللِّـوى ... وَمـا القَـومُ - لـولا حُـبُّ عَلْـوَةَ - ضُـلاّلُ
وقـد علمـوا أَنِّـي أجـرتُ ركـابَهُمْ ... فَقـالُوا وهُـم مِمَّـا يُعـانُونَ عُـذّالُ
أَرَاكَ الحِمـى وادي الأَراكِ فَزُرْتَـهُ ... وَضَـلَّ بنـا مِمَّـا نوافِقُـكَ الضَّـالُ[٤٩]

بهذه الروحية والنفس العاشقة للصحراء والبادية ينكشف الاتجاه البدوي في الشعر العباسي.

## ثانياً: الخزامى:

ومن النباتات البرية الآخر التي تكثر في الصحراء العربية، في أيام الربيع، نبات الخزامى وهو ((نبت ربيعي طيب الرائحة واحدتهُ خزاماة، والخزامى عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج))[٥٠] وقد ذكرهُ الشعراء الجاهليون ومنهم الشاعر عبيد بن الأبرص الذي يصور هذا النبات بعد أن سقطت الأمطار، فنبعت منه رائحة طيبة، عبر عنها بقوله: (من الطويل)

وريـحِ الخُزامـى في مـذانبِ روضـةٍ ... جَـلا دِمنـها سـارٍ مـن المـزن هطَّـالِ[٥١]

وظل هذا النبات حاضراً في الشعر العربي، يذكره الشعراء حين يشتاقون الى أجواء الصحراء العربية التي تركت تأثيرها الفاعل في النفس العربية إذ أن ((الطبيعة هي أول وأكثر ما يتأثر به العربي، منذ ولادته حتى مماتهِ..... وتترك الظواهر الطبيعية في النفس العربية أعمق الآثار التي لا تنسى وأن من أظهر الدلائل على سكون العرب الى الطبيعة، وإخلادهم أليها الى درجة التوحد فيها، هذا الكم الهائل في وصفها شعراً ونثراً))[٥٢] فهذا الشاعر الصنوبري، شاعر الطبيعة في العصر العباسي، أثارهُ منظر ورد الخزامى في صحرائه، عندما رآه منتشراً قد غطى مساحات واسعةٍ كانت قاحلة، فأحياها، وفي وصف ذلك يقول: (من الكامل)

نشـرَ الخُزامـى الغـضُ طيـبَ نشـرِهِ ... فأضـاءَ حـوذانٌ ولاح عـرارُ[٥٣]

ويقف شاعر آخر عند منظر هذه النباتات البرية وهي تملأ الأفق أمامه فتستهويه بمنظرها الجميل، فيصفها أجمالاً بلفظة ((الشقائق)) ومن ذلك قول المتنبي: (من الطويل)

وَقَفْنَـــا ومِمّـــا زادَ بَثّـــاً وُقُوفُنَـــا ... فَرِيقَـــيْ هَـــوًى منّـــا مَشُـــوقٌ وشـــائِقُ
وقـد صـارَتِ الأجفـانُ قَرْحـى مـنَ البُكـا ... وصـــارَتْ بهـــاراً في الخـــدودِ الشّـــقائقُ[٥٤]

وقد وصف شاعر آخر رائحة هذا النبات فعدها قادرة على شفاء غليل الفؤاد، فهي تملأ الأفق برائحة زكية، توزعت على جانب الحزن من الأرض، وهذه الصورة تكشف عن مساحة التواجد للنبات الذي ينمو بين حصباء الوادي، وجنباتهِ، وفي رمالهِ، وفي ذلك يقول أبن نباته السعدي: (من الخفيف)

حبـــذا الرائحـــون مـــن طـــرفِ الحـــز ... ن ونجـــــدٍ منـــــهمُ علـــــى ميعـــــادِ
تتلقـــــاهمُ بنشـــــرِ الخزامـــــى ... نفحـــــاتٍ تشـــفي غليـــل الفـــؤادِ[٥٥]

ومثلما استعاد العليل وعيه وشفى من علته، فإن الناقة التي رافقتهُ في صحرائه، صارت مخاطبة عندهُ، يعلمها برائحة الخزامي؛ لكي تشاركه في حنينه الى أرضه وديارهِ، وفي ذلك يقول: (الوافر)

أذكـــرُ نـــاقتي نشـــرَ الخزامـــى ... فتســـعدني علـــى رجـــعِ الحـــنينِ[٥٦]

ولا يخفى عشق الشاعر الشريف الرضي لأرض أجداده وتغنيه بنجد والحجاز في كثير من أعراضه الشعرية، فقد ظلت هذه الأماكن هاجس الشاعر، وهي منبع شوقه وحنينه لكل ما فيها من حيوان وإنسان ومظاهر حياة، حتى بلغت به مودته إلى الغيرة على تلك الأماكن من الرياح، فساءل أماكن غدرانها وأستنشق هواءها العبق برائحة الخزامى، فقال: (من الوافر)

أغَـــارُ عَلَـــى ثَـــرَاكَ مِـــنَ الرّيَـــاحِ ... وَأسْـــألُ عَـــنْ غَـــدِيرِكَ وَالمَـــرَاحِ
وَأجْهَـــرُ بالسّـــلامِ وَدُونَ صَـــوْتِي ... منيـــــع لا يجـــــاوز بالصـــــياح
وَأهْـــوَى أنْ يُخَالِطَـــكَ الخُزَامَـــى ... وَيَلمَـــعَ في أبَاطِحِـــكَ الأقَـــاحي[٥٧]

ويظل الشريف الرضي متعلق القلب بربوع صحرائه، يأخذه الحنين الجارف نحو رباها ورمالها وما أنبتت، مستذكراً طيب تلك الأرض، مخاطباً إياها، مستفهما منها، لعله يحظى يرد يثلج قلبه الولهان إلى ربا نجد وما اشتملت عليه أرضها، وما أزهر فيها من أزاهير، إذ يرى أن العيش لا يرق إلا بها، فيقول: (من الكامل)

فَلَـــرُبّ عَـــيشٍ فيـــكَ رَقّ نَسِـــيمُه ... كَالمَـــاءِ رَقّ عَلـــى جُنُـــوبِ بِطَـــاحِ
وَثَغَـــرّلٍ كَصَـــبَا الأصَـــائِلِ أيْقَظَـــتْ ... ريـــا خزامـــى بـــاللوى واقـــاح[٥٨]

فيما يرى شاعر أن نبات الخزامى في صحرائه العربية يمتلك صفات إنسانية قادرة على فضح أشواقه وذلك أنه يحن الى حيوانات المرعى، وهذا ما يكشفه قول الشاعر الشريف المرتضى، الذي منح نبات الخزامى هذه الخاصية في عملية تشخيص، فكأنه يمتلك الإرادة، ويقدر على الفعل، وفي ذلك يقول: (من الزجر)

أرسلها ترعى ألاء ونفلْ ... تامكة بين الجبال كالجبلْ
حن لها نبت الخزامى باللوى ... وشب حوذانُ الحميمِ وأكتحلْ[٥٩]

وأن عشق الشعراء العرب في العصر العباسي ظل حاضراً عند مجموعة منهم سلكت هذا المنهج البدوي، ومنهم الشاعر أبو العلاء المعري الذي يحب أن يتعلل وتسعد نفسهُ الحزينة عند نبات الخزامى وأن يشرب من بئر في صحرائه، بعيداً عن المدينة التي ضاق بها ذرعاً فيقول في ذلك: (من الكامل)

أُعَلَّلُ، حينَ أغرَثُ، بالخزُامى؛ ... وأشرَبُ، إن ظَمِئتُ، نزيعَ جفرِ[٦٠]

هذه الأوصاف التي اعتنى الشعراء العباسيون بها في شعرهم، تدل على ذلك الحب الدفين في قلوبهم إلى بيئة الصحراء العربية وما أنبتت وما شاع فيها من منظر جميل، أو فاح فيها عطر لنبات بري إذ أستوقفهم، وأثار انفعالاتهم.

### ثالثاً: العرار:

هو نبات اشتهرت به الصحراء العربية وذكره الشعراء في ما قالوا، فقد أعجبوا به فهو ((نبت طيب الرائحة، يسمى بهار البر، وهو النرجس البري، واحدتهُ عرارة))[٦١] وقد وصفه الشعراء العرب ولعل أجمل ما قيل فيه أبيات الشاعر الصمة القشيري (ت٩٥هـ) إذ قال: (من الطويل)

أقُولُ لصاحِبِي والعِيسُ تَهْوِي ... بِنا بَيْنَ المُنيفَةِ فالضِّمارِ
تَمَتَّعْ مِن شَمِيمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فما بَعْدَ العَشِيَّةِ مِن عِرارِ
أَلاَ يا حَبَّذا نَفَحاتُ نَجْدٍ ... وَرَيَّا رَوْضِهِ غِبَّ القِطارِ[٦٢]

وهذه الصورة، صورة الإعجاب نجدها عند شعراء القرن الرابع الهجري حين يمرون بالجزيرة العربية أو حين يشتاقون اليها فيذهب بهم الخيال، مصورين ما في الصحراء من نبات طيب الرائحة، وهذا ما نجده في قول الشاعر أبن نباته السعدي: (من الطويل)

تمـــرُ بهـــا هـــوجُ الريـــاح مريضـــةٌ كـــأنَ بهـــا مـــا بـــالقلوبِ مـــن الوجـــدِ
إذا هـــي لفـــتْ رنـــدها بعِرارِهـــا فـــتقنَ فتيـــتَ المســـكِ بـــالعنبرِ الـــوردِ[٦٣]

ويصور شاعر آخر نبات العرار، ويعدهُ غاية في الجمال، فهو ألذ من الورد الجني، وهنا دليل عشق لما أنتجتهُ الصحراء العربية، وهو شوق يغالب الشاعر فيضحه في حنينه إلى الأرض التي أنبتت هذا الورد، وإذ ذاك يتغنى به، فيقول الشاعر صرّ درّ: (من الوافر)

ألـــذُّ مـــنَ الـــوردِ الجـــني عَرارُهـــا وأحلـــى مـــن الشـــهدِ المصـــفى بريرُهـــا[٦٤]

هذه نماذج مختارة من حب الشعراء لبيئة العرب الأولى، وعشقهم لصحرائها ولكل ما جاءت به، ولم تكن هذه النباتات وحدها التي ذكرها الشعراء العباسيون بل نباتات أخرى كالشيح، والأقحوان، والرند..... وغيرها.

## ملخص البحث:

ظلت مظاهر البداوة في الحياة العربية متواجدة على الرغم من تغير المكان والزمان، وهذا ما يعتني البحث به ويحاول كشف مظاهر الحياة البدوية التي صورها الشعراء العباسيون في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فهو يقوم على مبحثين: الأول دراسة لأوصاف الشعراء للحيوانات الصحراوية التي تعد السمة البارزة في الحياة البدوية، وقد تناول البحث ثلاثة حيوانات رئيسة في بيئة الصحراء، وهي الناقة التي كثر حضورها في الشعر العربي، إذ أجادوا في وصفها، وأضفوا عليها من سمات الجمال المادي والمعنوي شيئا كثيرا، ثم درس الباحث: الخيل التي رافقت الإنسان العربي واعتز بها، فضلا عن دراسته لحيوان أخر كان مضرب مثل للجمال؛ ألا أنه الغزال أو الظبي، وفيه أكثر الشعراء الوصف والتمعن بكل حركاته وسماته الجمالية.

أما المبحث الثاني، فتناول لدراسة النباتات الصحراوية إذ وجد الباحثان لها حضورا لافتاً في الشعر العباسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وهذا يعزز تواجد الاتجاه البدوي في الشعر العباسي، وختم البحث بنتائج أكدت ما ذهب إليه الباحثان من وجود هذه المظاهر البدوية

**Abstract**

The aspects of nomadic remain available in the Arab life despite the change of time and place، and this what research deal with and try to detect about the aspects of nomadic life which depicted by the Abbasids'poets in the fourth and fifth Islamiccenturies، is based on two themes - :

**First:** the study of the descriptions of the poets of animals desert، which is the obvious feature of the nomadic life، the research dealt with three animals mainly in the desert environment، which are they: the camel that foundso much in Arabic poetry، since did well in her descriptionand added a lot of features of physical and moral beauty to her، then studied the researcher: horses that accompanied the Arabicman and heproud of them، as well as his study of another animal was a proverbial for beauty، the Deer or antelope and in this animal the poets give much of description and look closely at all the movements and aesthetic features .

**The second section**: was to study the desert plants، the researcher found a significant presence in the Abbasipoetry in fourth and fifth Islamic centuries and this trend to presencethe Bedouin direction in Abbasi poetry ، then the research conclude the research with results confirmed what researcher confirm from the presence of these aspects Bedouin.

## هوامش البحث

(١) لوحة الناقة عند الشاعر الجاهلي:٨١.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٣٥.

(٣) شرح ديوان المتنبي: ٢٢/١، الذملان: ضرب من السير، ينظر: فقه اللغة وأسرار العربية:٢٢٦، الأَكْوارُ: جمع كُورٍ بالضم وهو رَحْل الناقة بأداته، ينظر: لسان العرب مادة(كور)١٥٤/٥، اليعملات: النياق النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٢/١، الانساع: جمع (نسع) النِّسْعُ سَيْرٌ يُضْفَرُ على هيئة أَعِنَّةِ النِّعالِ تُشَدُّ به الرِّحالُ والجمع أَنْساعٌ ونُسُوعٌ ونُسْعٌ، ينظر: لسان العرب، مادة(نسع)٣٥٢/٨.

(٥) ديوان الصنوبري: ٢٣٩.

(٦) ديوان أبي فراس الحمداني:٥٧، اللقاح: اللِّقاحُ بكسر اللام الإِبلُ بأعيانها الواحدة لَقُوح وهي الحَلُوبُ مثل قَلُوصٍ وقِلاصٍ،ينظر: لسان العرب، مادة(لقح) ٥٧٩/٢، الصفاح: الجوانب أو أخفاف الإبل، ينظر: لسان العرب مادة(صفح) ٥١٢/٢

(٧) ديوان الوأواء الدمشقي:٢٠.

(٨) ديوان الشريف الرضي: ٤٧١/١، القلب: جمع قليب: البئر، الخوص: (خوص) الخَوَصُ ضِيقُ العينِ وصِغَرُها وغُؤُورُها رجل أَخْوَصُ بيّن الخَوَص أي غائرُ العين، ينظر: لسان العرب، مادة (خوص) ٣١/٧.

(٩) ينظر: جماليات التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي نموذجيا: ١٤٠.

(١٠) ديوان الشريف الرضي: ١٤٠/١، نجائب: جمع نجيبة: هي نُوق من كِرام منسوبة إِلى فحل منجب، ينظر: لسان العرب: ٣١٥/٣

(١١) ديوان ابن نباتة السعدي: ١٣٥/٢.

(١٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:٣١/١

(١٣) ديوان أبي الحسن التهامي: ٢٧٣

(١٤) المصدر نفسة:٤٧٠

(١٥) ديوان الشريف الرضي: ٤٤٢/١، توانٍ: نياق وافية ضعيفة الجمام: الماء الكثير.

(١٦) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ٢٧.

(١٧) ديوان امرئ القيس: ٤٧، الحارك: أعلى الكاهل. الحارِكُ عظم مشرف من جانبي الكاهل اكتنفه فَرْعا الكتفين، ينظر: لسان العرب، مادة (حرك)٤١٠/١٠

(١٨) ينظر: وصف الخيل في الشعر العربي:٨٦.

(١٩) شرح ديوان المتنبي: ٢١٢/١.

(٢٠) ديوان أبي فراس الحمداني: ٣٤. السعالى: هي جمع سعلاة قيل هي سحرة الجن، ينظر: لسان العرب: مادة(سعل) ٣٣٥/١١

(٢١) ديوان كشاجم:١٢٧.

(٢٢) ديوان الشريف الرضي: ٢٠٠/١

(٢٣) المصدر نفسه: ١٩٥/١.

(٢٤) المصدر نفسه:٣٣١/١

(٢٥) ديوان أبي فراس الحمداني: ٢٨٤/٢.

(٢٦) ديوان الابيوردي: ٦٢٤/١

(٢٧) شرح ديوان المتنبي: ١٦٨/١.

(٢٨) المصدر نفسه:١٧٦/١.

(٢٩) المصدر نفسه: ١٢٩/٢.

(٣٠) شرح ديوان المتنبي: ١٥٤/٢

(٣١) ديوان السرّي الرفّاء: ٣٠٨/١.

(٣٢) المصدر نفسه: ٣٣٣/١.
(٣٣) ديوان أبي فراس الحمداني: ٣٦٨/٢.
(٣٤) ديوان ابن نباته السعدي: ٨٤/٢.
(٣٥) المصدر نفسه: ٤٣٢/٢.
(٣٦) الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي: ٤١٦.
(٣٧) ديوان الشريف الرضي: ٤٨٨/٢، الشادن: الشادنَ فهو ولد الظبية، ينظر: لسان العرب، مادة (شدن) ١٣/ ٢٣٥، السَّجْفُ والسِّجْفُ: السِّتْر، ينظر: لسان العرب مادة (سجف)١٤٤/٩،العبيطة: والعَبْطُ الشَّقُّ وعَبط الشيءَ والثوبَ يعبِطُه عَبْطاً شَقَّه عَبَطَ، وهو ستر الأديم المُسقوق، ينظر: لسان العرب مادة (عبط) ٣٤٧/٧
(٣٨) المصدر نفسه: ١٢٤/٢.
(٣٩) ينظر: ديوانه:٧٥،١/٢، ١٧٨/١، ٥٧/٢، ١٩٦/٩٣،٢/٢ وغيرها.
(٤٠) ديوان صرّ درّ: ٥٦.
(٤١) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٩٨.
(٤٢) ديوان عمرو بن مالك الشنفري: ٣٤، مسنت: مجدب، ينظر: لسان العرب، مادة (سنت)٢ /٤٧، طلت: أصابها الطلُ.
(٤٣) ينظر: لسان العرب: مادة (أراك): ٣٨٨/١٠.
(٤٤) شرح ديوان المتنبي:١/ ٥٣٤.
(٤٥) ديوان ابن نباته السعدي: ٥٢٤/١.
(٤٦) ديوان الشريف الرضي: ٨٦/٢.
(٤٧) ديوان الشريف المرتضى: ٥٤/١.
(٤٨) المصدر نفسه: ٨٣/٣.
(٤٩) ديوان الأبيوردي:١/ ١١٦
(٥٠) لسان العرب، مادة (خزم) ١٧٤/١٢.
(٥١) ديوان عبيد بن الأبرص: ١١٤، مذانب الروضة: الجداول التي توزع السيل.
(٥٢) الحب عند العرب، د. عادل كامل الآلوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م:٣١٣.
(٥٣) ديوان الصنوبري: ٥٠، الحوذان: نبت له ورق وقصب ونَور أصفر، ينظر: لسان العرب، مادة (حوذ) ٤٨٥/٣، والعرار: والعَرَارُ بَهارُ البَرِّ وهو نبت طيب الريح قال ابن بري وهو النرجس البَرِّي، ينظر: لسان العرب: مادة (عرر) ٥٥٥/٤.
(٥٤) شرح ديوان المتنبي: ٦٠/٣، والشقائق: زهر أحمر اللون، والبهار: زهر أصفر.
(٥٥) ديوان ابن نباته السعدي: ٨٠/٢.

(٥٦) المصدر نفسه: ٤٦٥/١.

(٥٧) ديوان الشريف الرضي: ٣٠٥/١.

(٥٨) المصدر نفسه: ٣١٤/١.

(٥٩) ديوان الشريف المرتضى: ٥/٣

(٦٠) اللزوميات: ٥٤٧/١.

(٦١) لسان العرب، مادة(عرعر)٥٥٥/٤

(٦٢) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري:٧٨.

(٦٣) ديوان ابن نباته السعدي: ٨٠/٢، الرند: الرَّنْد الآس وقيل هو العود الذي يُتبخر به وقيل هو شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة يستاك به وليس بالكبير وله حب يسمى الغارَ واحدته رَنْدَة شجر طيب الرائحة من شجر البادية، ينظر: لسان العرب، مادة (رند) ١١٨٦/٣

(٦٤) ديوان صرّدرّ: ٥٨، البربر: البَربرُ ثمر الأراك إِذا اسوَدَّ وبَلَغَ ، ينظر: لسان العرب، مادة (برر) ٥١/٤

## قائمة المصادر والمراجع


- جماليات التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي نموذجيا، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٤م

- الحب عند العرب، د.عادل كامل الالوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م:

- ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه وضبطه وقدم له، علي العسيلي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٧م

- ديوان ابن نباته السعدي، دراسة وتحقيق: د. عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٩٧م

- ديوان أبي الحسن التهامي: تحقيق: أبو بكر نهر شاويش، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٦٤م.

- ديوان الأبيوردي: المظفر محمد بن احمد إسحاق، تحقيق: د. عمر الأسعد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

- ديوان امرئ ألقيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م.. ديوان السري الرفاء، تحقيق ودراسة: د. حبيب حسين الحسيني، دار الرشيد للنشر، ١٩٩٨م.

- ديوان الشريف الرضي، شرحه وعلق عليه: د. محمود مصطفى حلاوي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة - بيروت - ط١، ١٩٩٩ م.

- ديوان الشريف المرتضي، شرح: محمد التونجي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م. ديوان صرّدرّ، تحقيق ودراسة، دكتور محمد سيد علي عبد العال، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٢٠٠٨،١م٦٤-

- ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، جمعهُ وحققهُ، د. عبد العزيز محمد الفيصل، النادي الأدبي، الرياض،ط١، ١٩٨١م.

- ديوان الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م - ديوان طرفة بن العبد، تحقيق وشرح، علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة الرسالة القاهرة.

- ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق، د. حسين نصار، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

- ديوان عمرو بن مالك الشنفري، شرح وتحقيق، أمل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

- ديوان كشاجم، محمود بن الحسين المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، تحقيق وشرح خيرية محمد محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠م.

- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العالمية، بيروت،ط١، ٢٠٠١م.

- الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م.

- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي(٤٣٠هـ) ضبطه وعلق عليه وقدم له ووضع فهارسه، الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- فن الوصف وتطورهُ في الشعر الجاهلي، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط٢، ١٩٧٨م.

- لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

- وصف الخيل في الشعر العربي، كامل سلامة الدقس، دار الكتب الثقافية الكويت، ١٩٧٥م.

**المجلات:**

- لوحة الناقة عند الشاعر الجاهلي - د. عادل البياتي - مجلة آداب المستنصرية، العدد٤،العراق ١٩٧٤م.